الفكر في الحضارة الهندية القديمة

بدايات الفكر الهندي

ينقسم الشعب الهندي إلى قسمين الأول قبل الاجتياح الآري والثاني بعد الاجتياح الآري، فقبل الآريين كانوا مجرد قبائل متناثرة تعود إلى 3000 سنة قبل الميلاد لكل سعب حاكمه وعقائده وقوانينه وعاداته وتقاليده، أما الوحدة السياسية والاجتماعية بين هذه الشعوب والقبائل فلم تتأسس إلا بعد الاجتياح الآري. (واجتياحهم كان سببه القحط الذي أصابهم في أسيا في نهر الدانوب، فمروا ببلاد الفرس وعزوها جزء استقر هناك وجزء آخر واصل طريقه إلى الهند واستوطن فيها في حدود القرن الخامس عشر قبل الميلاد). ومع الآريين بدأت مرحلة جديدة من تاريخ الشعب الهندي الذي عرف معها حياة سياسية واجتماعية وفكرية جديدة. هذه المرحلة الجديدة التي تعود إلى القرن الخامس عشر قبل الميلاد هي التي شغلت وتشغل الباحثين والمفكرين.

أما مرحلة ما قبل القرن الخامس عشر فهناك موقفين موقف يؤكد أصالة هذه المرحلة وتوفرها على بقايا وآثار تؤكد على أهميتها وتطورها وموقف ينفي عنها ذلك ويعتبرها مجرد قبائل متناثرة لا تملك وحدة سياسية ولا اجتماعية و لم تؤسس لتأملات فكرية خالدة. فأما الذين يدافعون عن هذه المرحلة فيؤكدون على بقايا وآثار تعود إلى 3000 سنة ق م وتعرف هذه المرحلة بحضارة واد السند، وكانت تضم مدينة كبيرة تدعى مهنجو دارو، التي انشأت حوالي 2000 سنة ق م، وقد عرفت هذه المدينة تنظيما معتبرا من حيث الري وقنوات المياه وارصاء الاحجار في طرقاتها، وعرفت توحيد القياس في المباني، وهذا ما يدل على تخطيط هندسي متقدم ومتطور في تلك المرحلة، كما تؤكد الآثار أنهم عرفوا المكاييل والحسابات ووظفوها في تجارتهم. وهذا ما يفترض وجود رؤية سياسية واجتماعية منظمة للحياة العامة، أما من حيث الأفكار الدينية والفلسفية والأسطورية فهناك من يتحدث عن وجود بقايا أثرية قديمة تعود إلى 30 قرنا قبل الميلاد للإله "سيفا"، وقد تم ربطه بأفكار جديدة مع الاجتياح الآري، وبل يذهب البعض إلى أن الديانة البراهماتية تعود في الأصل إلى مزيج من الديانة المحلية القديمة والديانة الهندو-آرية.

وحول المكانة الفكرية لمرحلة ما قبل الغزو الآري هناك من يعتقد أنهم كانوا متقدمين من الناحية العقدية حيث كانت شعوب هذه المرحلة تعبد آلهة من الإناث، وكانت تعتقد بقوة هذه الآلهة وأنها باستطاعتها ابادتهم واحياهم وأن الذي لا يقدم لها القرابين والتضحيات يعرض نفسه وعائلته وماشيته للدمار. وهناك من يرى بوجود شبه بين الآلهة القديمة والآلهة الجديدة مما يرجح فرضية وجود حضارة تعود إلى ما قبل القرن الخامس عشر قبل الميلاد.

بعض المعتقدات الهندية القديمة:

الآلهة:

تذكر الفيدا القديمة العديد من الآلهة التي آمن بهذا الهنديون منها إله الشمس (إله النور والاضاءة)، وآلهة الأرض والسماء وآلهة الرياح والمطر.

أسطورة الخلق :

تقول أسطورة الخلق في الفيدا أن العالم خلقه الإله (براجاباتي) وسبب خلقه للعالم يعود إلى أنه سئم من الوحدة واشتاق إلى الكثرة والتعدد فاستجابت الآلهة الأخرى لطلبه فقطعوه أربا ونثروا أجزائه في جميع البقاع فتكون العالم من كل هذه الأجزاء. ولكن أجزاء العالم ظلت اشتاق إلى وحدتها وقربها وهو ما يفسر التجاذب الذي يحدث في أجزاء العالم. حيث تشكلت الشمس من عينه والريح من نفسه ومن رأسه نشأت السماء ومن قدمه نشأت الارض وهكذا.

الأخلاق:

م تكن الأخلاق تعني شيئا آخر غير الالتزام بتأدية الطقوس الدينية فإذا أدى الشخص تلك الطقوس فهو خيّر وإذا تقاعس عن آدائها فقد جلب لنفسه الإثم والشر. ومن مظاهر الخير هو التمتع بالصحة والحرية والغنى ومن مظاهر الشر فهي العبودية والمرض والفقر والشقاء.

الفيدا وأقسامه:

الفيداVéda هي نصوص مقدسة، تم تناقلها شفهيا على مر القرون من قبل البراهمة. تم تأسيس الفكر الهندي حول الفيدا الذي يعني لغويا: الوحي و المعرفة. ويضم الفيدا مجموعات من المعارف الأسطورية والدينية والميتافيزيقية، والتي كانت تمثل طقوس ودستور المجتمع الطبقي الهندي.

هذا الكتاب لم يكن أصله هندي بالكامل وإنما يحمل شيئا من الفكر الآري الذي قدم إلى الهند واستوطن منطقة "البنجاب" حيث فرضوا على الساكنة المحلية الايمان به. لهذا فهو من حيث المبادئ كان متناقضا مع المعتقدات القديمة للساكنة المحلية. كتب الفيدا باللغة السانسكريتية الآرية، وهي لغة لم تكن معروفة في الهند من قبل. لا يعرف متى جمع هذا الكتاب ولكن الأكيد أنه كان يروي أحداث تعود إلى القرن 15ق م. يضم الفيدا مجموع المعارف الهندية حول المعتقدات الدينية والعادات والتقاليد والطقوس والأخلاق والنظريات الاجتماعية والسياسية مصاغة على شكل أناشيد

دينية وطقوس تعبية وتعاويذ سحرية، كما أنه لم يعرف كتابها لأنها ليست مرتبطة بالأشخاص وإنما مرتبطة بالواقع نفسه. ويعد الإله آجني أحد أهم آلهة الفيدا وهو إله يرمز إلى النار رمز الاندفاع والتوهج فعندما تكون في حالة انفلات فإنها تدمر كل شيء وتقضي على الغابات وتحرق المنازل والممتلكات ولكن حينما يتم ترويضها فإنها تصبح مفيدة في حياة الإنسان (طهي الطعام والتدفئة...). يضم كتاب الفيدا أربعة أقسام هي:

1. الريغ فيدا (الأغاني): ويقع في عشرة كتب تعود إلى 15 ق.م وتتحدث هذه الأغاني عن آلهة اندرا وفارونا، وآغاني أخرى تمجد إله النار والضياء. أما الأقسام الأخرى الثلاثة فهي حديثة مقارنة مع الريغ-فيدا وهي:
2. السما-فيدا: يضمن أشعار وأغاني متعلقة بالتضحيات.
3. الياجورفيدا : تضمن أشعار تتعلق بالاحتفالات (التي تتعلق بظهور الهلال الجديد واكتماله، والفصول...إلخ).
4. الآثارفيدا: وتتناول تعاويذ سحرية.